مقاهي الأدباء في الوطن العربي

أمكنة للحرية والثقافة والمعارك الأدبية

دمشق/ أحمد أبو الحسن

.. تأخذ المقاهي جزءاً مهماً من حياتنا فهي تبدو للوهلة الأولى فرصة للتلاقي والحوار مع الآخرين وقد اعتبرت المقاهي في فترة من الفترات الوسيلة الوحيدة لتنشيط آلية الفكر دون أن ننتبه اليها.

فقد ذكر الكاتب الفرنسي «لومبير» ان مقاهي الشرق كانت مركزاً تسود فيها حرية التعبير، والمقهى بعبارة بسيطة هو المكان الذي تقدم فيه القهوة أو المشروبات الاخرى لكنه تحول مع مرور الوقت الى ما يشبه البرلمان كمكان لتلاقي الافكار.

كما أن فكرة إقامة بيت للقهوة بوصفها وكالة للصحافة واللقاءات الادبية وبرلماناً حراً للنكات قد ولدت في اليمن السعيد على الاغلب وعلى هذا الأساس شكلت المقاهي الأدبية في الوطن العربي بعداً مهماً في مناقشة أبعاد المنابر الثقافية حيث كان المقهى لاسيما في فترة الخمسينيات والستينيات منبراً مهماً حيث كان الادباء والمثقفون يتحاورون ويتناقشون الى حد أنهم كانوا يصنعون القرار الثقافي ضمن فعاليات مهرجان المحبة الذي أقيم في اللاذقية مؤخراً، حيث أقيمت ندوة ثقافية تحت عنوان «مقاهي الأدباء في الوطن العربي تحدث فيها د. رشيد الذوادي من تونس ووليد اخلاصي من سوريا، ود. رفيق عطري من لبنان. وتحدث في البداية د. الذوادي الذي أكد: أن العرب عرفوا المقاهي منذ عام ١٧٥٠ حيث انتشر فيها شرب القهوة واصبحت فيما بعد ملتقى الاكابر وانتقل اليها الحكواتي.. فالمقهى الادبي حافظ على ترابط الاجيال وكان منبراً لكل الافكار حيث رصد المقهى الاحداث والتحولات السياسية التي مر بها الوطن العربي.

ويذكر الدكتور الذوادي في كتابه الذي صدر في عام ١٩٧٥ تحت عنوان «جماعة تحت السور» حيث لعب المقهى دوراً مهماً في الحياة الثقافية والادبية في تونس حيث كان يلتقي في مقهى جماعة تحت السور الذي كان في منطقة باب السويقة في العاصمة التونسية وكان يلتقي فيه الادباء والكتاب والصحفيون والممثلون والرسامون كالقصاص علي الدعاجي الذي كان رساماً وزجالاً وصحفياً وممثلاً وقد كتب نحو ٥٠٠ مسرحية اذاعية وأصدر جريدة «السرور» فقد كتب علي الدعاجي عن المتعبين ورسم صورة للحياة الشعبية في تونس في الفترة التي عاش فيها وهو باني القصة التونسية بمعناها التقني وقد استمد الدعاجي شخوصه ونماذجه من الطبقة الشعبية. ويرى الدكتور رشيد الذوادي انه من مقهى تحت السور الشعبي خرجت الصحافة الهزلية وجميع الصحف التونسية التي رصدت في الثلاثينيات والاربعينيات كجريدة «السرور» التي أصدرها علي الدعاجي وجريدة «الشباب» التي أصدرها بيرم التونسي في زيارته الثانية لتونس عندما التحق بجماعة تحت السور وأصبح عضواً من أعضائها كذلك «مقهى القصبة» الذي يقع بجوار رئاسة الحكومة التونسية وكان يتصدر مجلس هذا المقهى المصلح والشاعر «الطاهر حداد» حيث كان يتحلق حوله جميع الادباء والرواد وقد الف كتابين الاول عن «العمالة التونسية وظهور الحركة النقابية» وكتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع».

ومن بين المقاهي الادبية الاخرى التي كانت مزدهرة في تونس في الثلاثينيات من القرن الماضي «مقهى العياري» وكان يجلس فيه «محمد الشاذلي خزندار» أمير شعراء تونس كذلك مقهى القشاشين بالقرب من جامع الزيتونة وكذلك مقهى الهناء.

أما عن المقاهي في سوريا فيؤكد الباحث التونسي الدكتور رشيد الذوادي أنها كانت موجودة كظاهرة وقد تحدث عنها الكتاب والادباء في كتبهم حيث تمتاز بالنظافة والأناقة مثل «مقهى الكمال» وقد تردد عليه أدباء دمشق منذ أواخر العشرينيات وكان قطب رحاهم الشاعر العراقي «أحمد صافي النجفي» بعد قدومه من بغداد وخليل مردم بيك وشوقي البغدادي .. وغيرهم.

كذلك من بين المقاهي الادبية في سوريا «مقهى البرازيل» ويقع في شارع «بورسعيد» وقد اكتسب شهرة واسعة في فترة الخمسينيات والستينيات.. أما الادباء الذين ظهروا فيه فهم كثر نذكر منهم سعيد الجزائري - احمد صافي النجفي - د. بديع حقي - فؤاد الشايب - عبدالغني العطري - د. سامي الدروبي - عبدالسلام العجيلي - أنور العطار - ود. شاكر مصطفى.

وعن هذا المقهى يقول الاديب عيسى فتوح ان هؤلاء الادباء كانوا يجلسون يومياً في مقهى البرازيل الذي كان لا يقدم لزبائنه سوى القهوة حيث كانت تدور فيه نقاشات ساخنة وكان أبرز المحدثين فيه الصافي النجفي وسعيد الجزائري.

ومن المقاهي السورية أيضاً مقهى «الهافانا» وهو مقهى قديم يقع في منطقة فكتوريا في مدينة دمشق وقد جلس فيه الادباء منذ أوائل الاربعينيات وطوال فترة الخمسينيات ومن هؤلاء عبدالغني العطري وعيسى فتوح وسليمان عواد وعادل أبو شنب وشوقي بغدادي وسواهم. ايضاً مقهى الكمال الجديد في دمشق وقد اتجهت اليه الانظار في بداية الخمسينيات. وقد أشار الباحث التونسي الى العديد من المقاهي الادبية في بغداد كمقهى «الجسر» ومقهى الرشيد ومقهى حسن عجمي.

أما في مصر فقد تعددت وتشعبت المقاهي حيث كان لكل مدينة مقهى ومن أهم هذه المقاهي: «مقهى أفنديه ومقهى متاتيا ومقهى الفيشاوي ومقهى ريش» الذي كان ملجأ كل المثقفين في مصر في القرن الثامن عشر وترجع شهرته الى كونه يمثل عاصمة ثقافية مستقلة تجمع كل التيارات دون تميز وجلس فيه كل من الاديب نجيب محفوظ الذي كان يعتبر زبوناً مشتركاً لكل المقاهي الشهيرة في مصر.. كذلك الشاعر نجيب سرور وأمل دنقل وعبدالرحمن الابنودي وجمال الغيطاني.

وقد كان نجيب محفوظ يعقد فيه ندوات أدبية صباح كل يوم جمعة ويحضرها عدد كبير من المثقفين وعندما سأل نجيب محفوظ عن سر اعجابه بهذا المقهى قال: هنا أراقب الأحداث وأستمع الى الجديد من الناس وتستطيع أن توصل الى جمهورك وقرائك ما لم تستطع ايصاله من خلال الكتابة.

أما في الاردن فكانت مقاهي «اربد» و«الزرقاء» و«عمان» و«البرموك» كثيراً ما تحفل بالادباء والفنانين وفيها تجري النقاشات في الادب والشعر والشئون الفكرية، على ان مقهى «شهرزاد» في عمان يمثل العمود الفقري وهو مقهى صغير مقابل مطعم القدس وتأسس في فترة الستينيات وجلس فيه المثقف والصحفي واستاذ الجامعة والطالب والسياسي الموالي للحكومة والسياسي المعارض.

وبعد هذا المقهى المقر الاساسي للمثقفين في عمان ففيه يتم إصدار الاحكام النقدية عن الافلام السينمائية وتنشر هذه المقالات في صحيفة النهار البيروتية.

كذلك مقهى «حبيبي» وهو مقهى أدبي يقع في جانب المصرف العربي في وسط العاصمة الاردنية وفيه جلس أدباء عديدون كالشعراء محمد القيسي وعلي فودة وعز الدين المناصرة وياسر الديوك وسواهم.

ويرى الدكتور الذوادي انه قد حان الوقت لجمع ما احتفظت به الذاكرة عن هذه المقاهي الادبية وما كان يدور فيها من نقاشات أدبية، فالمقاهي الادبية وكما هو معلوم بدأت انتشارها في المشرق العربي وامتدت فيما بعد الى المغرب العربي واصبحت مع مرور الايام احدى المحطات المهمة في الحياة الثقافية في الوطن العربي ولم تخل منها أية مدينة عربية.

أما الباحث اللبناني الدكتور رفيق عطوي فيرى أن ظهور المقاهي بدأ مع انحطاط الامبراطورية العثمانية وكانت تعرف بـ «القرآة خان» أي المكان الذي تقرأ فيه الكتب والصحف.

حيث كان دخول المقاهي عيباً ولا يدخلها إلا بعض العاطلين عن العمل ولكن هذه المقاهي حين دخلها الادباء والمثقفون ورجال الفكر عموماً وارتقى مفهومها والنظرة اليها من مركز للتسلية واللهو الى مستوى الزوايا الفكرية التي تنتج الابداع.

وكان لكل مقهى من هذه المقاهي حياة كاملة من حيث انه حياة زاخرة بالأفكار والأحداث والشخصيات التي كانت تجلس فيه من نجوم الفكر والفن والثقافة لاسيما في مرحلة الستينيات وهي فترة كانت انعكاساً لأهم مرحلة من مراحل التحول الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي لكنهم كانوا نجوماً من البشر لهم لحظات تألق ولديهم لحظات ضعف وشخصيات أخرى من الناس العاديين أو من مراتب اجتماعية أخرى.

فضة حسين مثلاً تربى في كنف أدباء عظام كان يجالسهم على هذا المقهى أو ذاك ويسامر أغلبهم على صفحات ما كتبوه من كتب سواء أكان فناً او نقداً أو فكراً وهو لذلك يعتقد انه نشأ في عزوة حقيقية وهي التي صنعت روحه ووجدانه فالعزوة هذه كان قوامها هؤلاء الرجال الكبار من مثقفي مصر.

وقد كان في مصر مثلاً مقهى «محمد عبدالله» في منطقة الجيزة وكان مركزاً للحركة الادبية في أواخر الخمسينيات وضم الادباء عبدالقادر القط ولويس عوض وانور المعداوي وصلاح عبدالصبور - رجاء النقاش - محمود السعدني - أحمد رشدي صالح - عبدالمعطي حجازي - نجيب سرور - سعد الدين وهبة - نعمات عاشور - احمد عباس صالح وغيرهم.

وكان هؤلاء الادباء والكثير غيرهم من البلدان العربية يلتقون على رصيف المقهى يتحاورون ويقرأون لبعضهم آخر نتاجاتهم الادبية حيث يشكلون ملامح نهضة أدبية وثقافية وكانت تدور احياناً بينهم معارك أدبية وثقافية بين القديم والجديد بين أنصار التراث وأنصار الحداثة وبين أنصار الرومانسية ودعاة الواقعية.

وأكد الدكتور رفيق عطوي على الدور الكبير للمقهى في تكوين مجموعة كبيرة من المثقفين الذين قادوا الحركة الثقافية في العقدين الاخيرين كمقهى «النجار» و«الفتوح» في لبنان حيث كان يجلس الادباء والشعراء يستمعون الى محمد عبدالوهاب يغني «جفنه علم الغزل» وهم مجتمعون الى الاخطل الصغير الذي كان يسمع شعره بصوت عبدالوهاب.

كذلك مقاهي البحر في بيروت مثلاً التي كانت ملتقى للزعماء والقبضايات إضافة لكونه ملتقى للسياسيين والادباء والمثقفين والفنانين والعمال المتقاعدين حيث كانت كل فئة تتداول في شئونها وشجونها، فكانت هناك «مقهى فلسطين»، «مقهى فاروق»، «مقهى الجنوب» «مقهى متري» وكلها يجتمع فيها المثقفون إضافة للقبضايات. وكان هناك أيضاً مقاهي الاحياء الراقية والشعبية والمقاهي الحديثة التي تطورت فيما بعد وتحولت من حيث الديكور والمقاعد حيث دخلت المرأة مؤخراً بعد أن كان هذا محظوراً عليها ولكن تطور البيئة والمجتمع والفكر أتاحا للمرأة دخول المقاهي والمشاركة في الحياة الاجتماعية والفكرية.

وعن علاقة المقهى بمحيطه تطرق الباحث اللبناني الى دور المقهى الاقتصادي ووظيفته بوصفه مركزاً للاستراحة ومنبراً للمناقشة في زحمة لا تهدأ ولا تعرف الانضباط ومن هنا يأتي جمالها وحلاوتها فقد كان يشكل المقهى في بعض المراحل مراكز للبريد بين الريف والمدينة حيث كانت عنواناً معروفاً للمجالس فيها والقادم اليها كما كان ملتقى للسياسيين تقريباً من الشعب وأبناء المناطق البعيدة حتى أن الحاج متري صاحب مقهى «متري» كان يطلب رضاه في الانتخابات إضافة الى هذا كانت المقاهي مركزاً للحفاظ على التراث والحكايا الشعبية التي تشكل ذاكرة الوطن حيث يعتبر «مقهى الحاج داوود» نموذجاً لذلك.

أفكار في السماعية والنص الشعري

القصيدة ليست منجزاً بلاغياً فقط ولكنها تمثل دلالة ثقافية بالمعنى الواسع

ماجد المذحجي

(١)

● يُشكل الغنائي في النص الشعري بعداً جوهرياً في وعي المتلقي/القارئ العربي، إنه عامل حاسم في تحديد الجمالية التي يتلقاها هو، وبناءً على جودة هذا الغنائي يتم تحديد الجودة بالمعنى الشعري لديه، إن هذه السماعية التي تحدد الجودة تعتبر قضية مركزية وحيوية في وعي هذا المتلقي/القارئ، وعبرها يتم فرز النصوص الشعرية الى جيد وسيء ومستحسن أو مرفوض تماماً.. هذا بالاضافة الى مسألة المقولة الاخبارية التي يريد النص قولها والتي تعتبر مسألة مهمة أيضاً ولايمكن اغفالها..

وهذه المسألة تأخذ حقيقتها من أن الشعر دائماً هو الصنف الأدبي العربي الذي يُفضل أن يتم الاستماع اليه أكثر مما تتم قراءته.. ومن ذاكرة عربية تتغنى بالشعر كمنجز بلاغي وأخلاقي له سطوته..

إن الاشتغال الشعري العربي المعاصر يحرص مبدئياً وبشكل ما على كسر هذه المعادلة القائمة بين الشعر والسماع/الإخبار.. ويعمل على خلق علاقة جديدة تتحدد بالشعر والقراءة/الأسئلة..

لكن السؤال هنا حول الإمكانية في ذلك؟

تأتي المشكلة أيضاً من أن الشعر هو نسق قيمة في الذاكرة العربية، أي أنه ليس ضرباً من القول الجمالي الممتع الذي يمكن تلقيه ونسيانه.. إنه حاضر كذاكرة، وكرامة، وجملة أخلاق لايجب ولايمكن اهدارها، ولذلك فالعلاقة معه تأخذ بعداً مقدساً «ألم يقارن القرآن نفسه بالشعر بشكل ما حين أراد إثبات فرادته في أكثر من موقع»، وهو أيضاً مرتبط بالذاكرة الجمعية ضمن شرط واحد.. ضمن شرط الغنائية والموسيقى «وهما اللاعبان الأساسيان في مسألة السماعية».. وأي ابتكار للشعرية خارج هذا الشرط يقودها للرفض والتجاهل من قبل مجموع القارئ/ المتلقي.. بل يصل الأمر الى الاستنكار والإدانة والنعت بعدم الأدبية..

إن الشعر لدينا مرتبط بالبداوة.. البداوة التي تميل الى التغني لكسر علاقاتها المحيطة بالجفاف.. فالشعر بموسيقاه وايقاعه يخلق بصحراء البدوي وجلافته..

إن مشكلة القصيدة اليوم انها تحاول أن تكسر شرطاً ثقافياً وليس شرطاً ابداعياً مجرداً فقط.. أي أن مسألة التجريب في الشعر ليست شبيهة بالتجريب في القصة والرواية.. لأن هذه الأجناس الإبداعية البرجوازية الطابع تبدو غريبة عن العربي، ولهذا هو ليس عابئ بما يجري لها أو يتغير فيها، وهو أكثر تقبلاً لها بكل تغيرها، أما الشعر فهو معني به، يفكر بمقولاته، وهذه مسألة مهمة أيضاً، فالشعر العربي القديم كان معني بالريادة، إن الشاعر كان نبياً ضمن جماعته، أما اليوم فان الشاعر ينسحب الى حيز أصغر، إنه معني بنفسه بأشيائه الصغيرة، بالتوافه في الحياة، لقد تخلى عن موقعه الريادي، عن دوره في المدح والانتصار والهجاء لصالح النشيج والترميم الداخلي، ولصالح تسجيليه تتوسل السرد أكثر من توسلها للغنائية والموسيقى، وهذه مسألة لايستطيع تفهمها هذا المتلقي/القارئ، الذي تعود على الشاعر والشعر في الصفوف الأولى حاملاً الراية ومناضلاً باسم الجميع.

وأعتقد أن المتلقي/القارئ التقليدي ليس هو الوحيد الذي يُفتش عن هذه السماعية، مازال المتلقي الحداثي، والشاعر الحداثي يشعر بحنين داخلي مضنٍ لها!، ومازلنا نتبارى في جودة الالقاء، وقدرتنا على السحر خلف المنبر، حتى لوكانت قصائدنا ونصوصنا لاتحتمل كشكل هذا الفن «الالقاء» الذي يبتغي صنعه مختلفة غير هذه التي نشتغل عليها في نصوصنا، إنه حنين يبدو شبيهاً بحنين الخاسر الذي يفتش عن صورة قديمة تشعره بالاطمئنان ويركن اليها حين يجد أن ماديه لايكفي للتعزية.

(٢)

للتفكير من موقع آخر في المسألة.. أميل الى تداول أسئلة من قبيل:

ماهي إمكانية تخليص النص الشعري من بنيته الغنائية أو من الموسيقى ببعدها الإيقاعي؟؟

وهل شكلت قصيدة النثر محاولة جادة بهذا الاتجاه..؟

تبدو الغنائية لي كإسناد جيد للموقع الذي قدمنا منه.. إنها تعبير صرف عن ذاكرة مازالت تحتفل بكل شيء بالنشيد.. حتى الحزن تقوم بترقيصه والتغني به!!

أي أن النص الشعري العربي بموسيقاه يعكس النسق الصوتي المهيمن على الثقافة العربية التي قامت استناداً الى ثقافة النص «النص باعتباره مشافهة أكثر من اعتباره مدونة».. هذه مسألة، المسألة الأخرى تأتي في موقع قصيدة النثر من هذا النسق الصوتي الثقافي العربي: ياترى هل شكلت بتجريبها- الذي مازال قيد الانجاز بالطبع- قطيعة مع هذه الثقافة.. وهل ستستطيع أن تتجاوز إشكالية تعدد الأصوات وتشابه الموضوع «الذاتية والتسجيلية بالمعنى اليومي والشخصي» باعتباره يمثل بذرة فنائها كشكل ومنجز- كما أعتقد- مالم تخلق موضوعات مختلفة خارج هذا الموضوع الرئيس والمهيمن على متنها..

وهل ستستطيع هذه القصيدة أن تقدم مقولة أخرى في مادتها غير المقولة الأخلاقية والإخبارية التي شكلت متن القصيدة العربية منذ زمن طويل..

ثمة ارتباك في المشهد الشعري العربي.. فهو لم يفتح أفقاً جديداً بقدر مايدور في زاوية التناحر والصراع على الشكل.. إن القصيدة ليست منجزاً بلاغياً فقط.. إنها منجز ثقافي كما أفهم، أي أنها تعبير حقيقي عن التطور بالمعنى الثقافي.. وهي بهذا تمثل دلالة ثقافية بالمعنى الواسع أكثر مما تمثل قيمة جمالية بالمعنى الخاص.

وأنا أعتقد أن هذه الأفكار تُخرج النص الشعري من موقع العلاقات اللغوية والجمالية الى إطار واسع.. وربما هي تُحمله أكثر مما يحتمل.. لكن المسألة بهذا الاتجاه ضرورية باتجاه نفض الغبار عن موقع علاقتنا بالنص الشعري.. وعلاقة هذا النص بمجموع القارئ وبالأنساق الثقافية المهيمنة على وعينا الجمعي...

(٣)

هناك مصطلحات لم يتم التعاقد عليها وهي تنتمي الى دائرة الفهم الفردي أكثر من دائرة الفهم العام المتعارف عليه،والذي تم الاصطلاح عليه كوسيط معتمد بين المتناقفين.. ومصطلح «الغنائية» مازال بالنسبة لي غائماً وقيد التفكير والضبط.. وهو بهذا يشكل نقطة ضعف حقيقية في أطروحتي «أو أفكاري بشكل أصح».. بهذه المادة.. ولكن هذا لم يمنعني من اعتماده لمسألة أساسية: انه الصيغة الأنسب التي توصل أفكاري الأولية، ولأن هذه الغنائية كفكرة هي ما أريد إعادة التفكير حوله، بالاضافة الى مفهوم السماعية أيضاً..

ولكي أكون واضحاً ان اصطلاح «الغنائية» الذي استخدمه، لايعني حصراً مفهوم الموسيقى والعروض فقط.. فهما يشكلان جزءاً أساسياً من بنية «الغنائية» ولكنهما لايختصرانها، أي أن «الغنائية» هي حالة عامة تُرصد في مجموعة مقولات النص، أي بالإيحاء الذي يخلقه النص ويتلقاه القارئ بالاضافة الى بنيته كمادة مكتوبة، والأفكار الذي يتعلق بها النص من ناحية تعاطيه معها «وهي أساسية بالنسبة لي»، أي أن «الغنائية» هي موقع المادة المُنجزة- ضمن دائرة الوعي أو خارجها فمازالت المسألة غير واضحة لي- وآلية تعاطيها مع الأفكار واللغة بشكل ما- وهي أيضاً تُشكل- بشكل ما كما أعتقد- الوسيط الأساسي «أو المناخ الوسيط» بيننا كمنتجين للنصوص وبين النصوص وأفكارها..

maged 231@hotmail.com

إصدارات عربية حديثة

شب الكوبّا

● في مجموعتها القصصية الجديدة «شب الكوبّا» تحاول القاصة السورية نضال حمارنة الغوص في تفاصيل شخوص قصصها التي تجاوزت الخمس عشرة قصة قصيرة توزعت عبر هذه المجموعة التي صدرت مؤخراً عن دار البلد بدمشق. قصص تحاول دائماً اللهاث وراء مكنونات النفس الانسانية والبحث عن أجوبة لأسئلة جديدة وقديمة في آن معاً، تغلب عليها صفة الجدة والحداثة لتتناغم مع هموم العصر ومشاكله كأزمة الاغتراب الروحي والوحدة في مدن كبيرة كل ما فيها يشي عن غربة وخواء كبيرين. وقديمة لتعلقها بالسؤال عن الأنا الأنثوية التي كثيراً ما طالعتنا بين ثنايا المجموعة القصصية الجديدة وكأنها تريد الاحتجاج على قيود المجتمع وأمراضه التي تصيب الانثى دائماً وتحاول أن تنال منها لأنها الضحية الأضعف على الدوام.تقع المجموعة في ٩٥ صفحة من القطع الوسط وقد اختارت عناوين قصصها: صدفة تقلب الاشياء، مكان لائق لجسدي، سلسلة أصابع ومفاتيح، غير منظور، للذباب أيضاً رقصته، تخاريف عن الحب في زماننا، حلم، أسعد.. في العالم، عبق، ريشات أبي، شب الكوبّا، رجل يستحق، شهوة ملتبسة، تهريبة بشر، فأر مدسوس، رعشة مرور.

نشيد الزيتون

● ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدرت الدراسة النقدية الجديدة للباحث د. نضال الصالح مدرس الأدب والنقد في جامعة حلب، تحت عنوان «نشيد الزيتون قضية الارض في الرواية الفلسطينية» محاولاً في هذه الدراسة تبيين القضية الظاهرة في النتاج الروائي الفلسطيني الصادر ما بين انطلاقة الكفاح الفلسطيني المسلح سنة ١٩٦٥ وبداية الغزو الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢، حيث ينهض بين هذين الحدين الزمنيين ومن طبيعة الحركة التي كانت تحكم مسيرته وتطوره وعلاقاته بأشكال الواقع الفلسطيني كافة السياسية والثقافية والاجتماعية.

تتوزع الدراسة بين مدخل وأربعة فصول أملتها طبيعة المادة التي وفرتها مصادر الظاهرة حيث تناول د. نضال الصالح في المدخل نشأة الرواية الفلسطينية وتطورها حتى سنة ١٩٦٥ والموضوعات التي عالجها والسمات الرئيسية التي ميزت خطابها وصحح في الوقت نفسه الخطأ الذي وقعت فيه الدراسات التي أرخت لها والذي يتعلق بتحديد أول عمل روائي فلسطيني يستوفي أدوات هذا الفن وعناصره.

وقد ألحق المؤلف هذه الدراسة بالرواية الفلسطينية حتى عام ١٩٨٢ وبمعجم للروائيين الفلسطينيين الذين شكلت أعمالهم مصادر الدراسة الجديدة.

أيام القبوطي

● صدر حديثاً ضمن سلسلة روايات الهلال رواية «أيام القبوطي» لمؤلفتها المصرية سهام بيومي، والرواية تحكي بأسلوب سردي فترة مهمة من تاريخ مصر،وهي فترة حفر قناة السويس في القرن التاسع عشر. تطرح الرواية تساؤلات حول تلك الفترة، فيما يتعلق بهوية العمال الذين دفعوا حياتهم واريقت دماؤهم ثمنا لحفر القناة التي داعبت أحلام المهندس الفرنسي ديلسبس، واستطاع اقناع الخديوي سعيد بأهميتها.. ولا تقف الرواية عند حدود الكشف عن هوية هؤلاء العمال الذين راحوا وتنطق الرواية بمحنتهم القاسية،وإنما الذين قبضوا الثمن، وأثروا من وراء ذلك.

وعالم الرواية المليء بالشخصيات تتواصل الحكايات فيه عن الفرما، وهي بورسعيد حاليا وما حدث فيها حين بدأت عملية حفر القناة، حيث عم الفرما طوفان كاسح حين داهمها رجال الكومبانية وبدأت عملية حفر الترعة، ومع مطلع كل شهر كانت تأتي قوافل جديدة وتتزايد الأعداد.

وبمرور الوقت، كانوا يأتون في مجموعات يقودها مقاولو الأنفار ويتجهون مباشرة إلى ساحة الحفر، بينما الراحلون يتناثرون في كل الاتجاهات، وكذلك مملكة التنيس الرابضة في أعماق البحيرة، وما صاحبها من حكايات عن ملكها وملك الهكوش، والديك الذهبي والكنز المخبوء وجنيات الماء والنداهة، وتعمقت الحكايات عن هذه الأساطير في نفوس الناس إلى درجة أنهم يستدلون بها ويأخذون منها علامات يحددون بها مسارهم في السعي للرزق، فهي مملكة مأهولة يطرقونها، وعندما يستوقف أحد مشهداً ما أو حركة غير مألوفة ويحكونها فيما بعد، أو يربطون بينها، كان البعض يؤكد أن ما رآه هو الحقيقة..

تحكي الرواية عن السيد القبوطي الذي ترك بلدته منذ زمن بعيد وتجول في أراضي الله الواسعة وزار قرى وبلدانا، وكان يمكث فيها لبعض الوقت ثم يغادرها إلى غيرها حتى وصل إلى الفرما واستقر فيها، ثم يختفي وكان الاختفاء حدثا هز أرجاء الفرما، تلك المنطقة التي فلتت من أيدي أهلها حيث تقرر الكومبانية ما ينبغي أن يفعلوه وتحقق لها نبوءة السيد القبوطي والذي قال لأهلها إن الغرباء إن لم يتمكنوا من الفرما لن تقوم لهم قائمة.